مجلة الواحات للبحوث والدراسات
ELWAHAT Journal for Research and Studies
Available online at :https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2
المجلد 16 العدد 2 (2023): 46– 59 ISSN : 1112- 7163 E-ISSN: 2588-1892

حضور النص الشعري في الرواية الجزائرية

–أحلام مستغانمي وعزالدين جلاوجي أنموذجا–

The Presence Of The Poetic Text In The Algerian Novel

-Ahlem Mostaghanemi And Azzeddine Djelaoudji As A Model-

أحلام سيليني
جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة، كلية الآداب واللغات، مخبر التراث الأدبي الجزائري الرسمي والهامشي
ahlemsilini8@gmail.com

تاريخ الاستلام: 19-02-2023 تاريخ القبول: 01-10-2023 تاريخ النشر: 31-12-2023

ملخص :

استطاعت الرواية بفضل انفتاحها على مختلف المصادر من حجز مكانة رفيعة في حقل الإبداع والتأليف الأدبي، فنجد أنّ أغلب الأدباء العرب يميلون إلى كتابة الرواية التي تعدّ الجنس الأدبي الأقرب إلى محاكاة الواقع، وقد ركّز الكتّاب المعاصرون على استلهام الفنون وتضمينها في الرواية فأصبحت عبارة عن لوحة فسيفسائية لجملة من النصوص، أين حرص فيها المؤلف على إعطاء نصه نفسا جديدا مبتعدا عن النمطية التقليدية في سرد الأحداث، لينطلق في رحلة المزج بين الفنون من أبرزها ديوان العرب الأول "الشعر" وفي أدبنا الجزائري نماذج متعددة للرواية المتلاقحة مع الشعر، وسنتناول في موضوع دراستنا هذه حضور النص الشعري في الرواية الجزائرية المعاصرة – أحلام مستغانمي وعزالدين جلاوجي أنموذجا–وسنقف عند أبرز النقاط التي أسهمت في بناء النصوص الروائية فنيا وجماليا من خلال استحضار عنصر الشعر في المتن الروائي وما نتج عنه من أثر فني.

كلمات دالة : التجريب ، التفاعل ،الرواية ،الشعر ، الفنون.

المؤلف المرسل: أحلام سيليني: ahlemsilini8@gmail.com

Abstract:

Because Of Its Openness To Various Sources، The Novel Was Able To Reserve A High Position In The Field Of Creativity And Literary Authorship. We Find That Most Arab Writers Tend To Write The Novel، Which Is The Literary Genre Closest To Simulating Reality، Of The Texts، In Which The Author Was Keen To Give His Text A New Breath Away From The Traditional Stereotype In The Narration Of Events To Embark On A Journey Of Mixing Between The Arts، And Specially Poetry، In Contemporary Algerian Novel We Find Several Examples Of This Combination. In This Article، We Will Discuss The Presence Of The Poetic Text In The Contemporary Algerian Novel - Ahlem Mostaghanemi And Azzeddine Djelaoudji As A Model- And We Will Focus On The Most Prominent Points That Contributed To The Construction Of Fictional Texts Artistically And Aesthetically By Evoking The Element Of Poetry In The Text Of The Novel And The Resulting Artistic Impact.

Key Words: Experimentation , Interaction , Novel , Poety , Arts.

مقدمة:

عرفت الرواية في الوطن العربي مؤخرا أشكالا تعبيرية متعددة، وفدت إلينا في ظل موجة التطورات التي عرفتها الكتابة الروائية خاصة بظهور تقنيات التجريب الحديثة، أين تداخلت الأجناس الأدبية فيما بينها ولم يعد هنالك جنس أدبي خالص نقي، وأصبح عبارة عن مزيج متجانس من الأساليب التعبيرية الهجينة التي عادت على النصوص الأدبية بالإيجاب، والرواية باعتبارها الجنس الأدبي الأكثر شيوعا وتعبيرا عن الواقع، فقد أصبحت الشكل التعبيري الأنسب للمبدعين لكل زمان ومكان، ومع وجود تقنية التناص والمتفاعلات النصية أصبح من اليسير اقتناص نصوص سردية مشبعة بأساليب تعبيرية متعددة تنفتح على مختلف أنماط الثقافة والفنون والمعارف ذات الصلة بالأدب وحتى بعيدا عنه، وكان للرواية الجزائرية نصيب من هذا الانفتاح، فأصبحت تشكّل لوحة فسيفسائي ة تمتزج فيها مختلف ألوان الفنون لعل أبرزها الشعر، فقد أصبح هذا الديوان مؤخرا يشكّل جزءا مهما من بناء الرواية ومعماريتها، إذ يستعين المؤلف ببعض الأبيات الشعرية لتقديم نصه الروائي في حلّة جديدة ذات نفس جديد يزيد من جماليته، ويحدث أن يتناص الكاتب مع العديد من الأبيات الشعرية التي تلائم موضوع نصه وتدعمه، وفي بحثنا هذا تسليط للضوء على نماذج

مختارة من الرواية الجزائرية التي طرحت موضوع تداخل الأجناس الأدبية، وسنتطرق إلى روايات جزائرية استحضر مؤلفوها نصوصا شعرية مختلفة، ونخص بالذكر هنا كلا من عز الدين جلاوجي، أحلام مستغانمي، لو أنّ القائمة تطول، إلّا أننا سنحاول تقديم قراءة لبعض أعمالهما الروائية التي رأينا فيها جانبا فنيا وجماليا ينطبق على قالب الرواية الجزائرية المعاصرة المنفتحة على الشعر، كما تسعى هذه الدراسة إلى إبراز جماليات التشكيل الشعري في النص الروائي، بالإضافة إلى تقفي الأثر الجمالي للحضور الشعري في النصوص السردية. وسنحاول الإجابة على بعض إشكاليات الدراسة والتي تتمثل في: كيف تجلّى حضور النص الشعري في الرواية الجزائرية؟

ما الأثر الجمالي الذي أحدثه على مستوى البنية السطحية والعميقة للرواية؟

وكيف شكّل توظيف النصوص الشعرية مسلكا حداثيا من مسالك التجريب؟

كيف نقيم تجربة كل من أحلام مستغانمي وعزالدين جلاوجي في كتابة الروائية المعاصرة التي أصبحت ملتقى للفنون، خاصة فن الشعر؟

1.الرواية المعاصرة وانفتاحها على الفنون:

"إنّ الانفتاح اللانهائي على الواقع هو الذي يجعل الرواية تتمتع بحرية الحركة والتعبير أكثر من أي جنس أدبي، يبعدها عن التأطير ويهيئ فرصة وجود التميز والاختلاف في كل رواية" (شاهين، 2001، صفحة 7) ونقصد هنا بالحركية ذلك التحرر من القيود المعهودة التي تحكم النصوص الأدبية وتجعل منها تشكيلا سرديا نمطيا (أحداث، شخصيات، زمان، مكان) أي أنّ الرواية قبل ظهور تقنية التجريب كانت مجرد سرد للأحداث، قبل أن تصبح الجنس الأدبي المسيطر على الساحة الأدبية، وساعدها ذلك الانفتاح على الفنون المختلفة على غرار فن المسرح والشعر والرسم والنحت والتصوير وغيرها من أشكال التفاعل التي تدخل ضمن بوتقة التناص، وقد عرفت الرواية الجزائرية هذه القفزة الإبداعية في العديد من النصوص الروائية ومع أسماء لامعة استطاعت أن تجمع بين العديد من الفنون في خطاب واحد، وهذا أهم عامل أسهم في نجاح الرواية وتفوقها على الأجناس الأدبية الأخرى، وهذا ما يفسر لجوء أغلب المبدعين للكتابة في جنس الرواية كونها تنفتح على كل أشكال التعبير، كما أنّ مؤلفها حر في اقتباس واستحضار ما يشاء من ألوان التناصات بأنواعها، والتناص الأدبي من بين أشكال التناصات الأكثر بروزا في جنس الرواية، "ونعني بالتناص الأدبي تداخل نصوص أدبية مختارة قديمة وحديثة، شعرا أو نثرا مع نص الرواية الأصلي بحيث

تكون منسجمة وموظفة ودالة قدر الإمكان على الفكرة التي يطرحها المؤلف أو الحالة التي يطرحها المؤلف أو الحالة التي يجسدها ويقدمها في روايته" (الزعبي، 2000، صفحة 30/29) ويعدّ الشعر أحد أبرز المصادر التي أصبح الروائي الجزائري يعتمد عليها في إنتاج نصوصه، بل أصبح ظاهرة شائعة ومتداولة بين الروائيين، إذ لا تخلو الأعمال الروائية المعاصرة من هذا الجنوح نحو اعتماد المادة الشعرية مكونا أساسيا في تشكيل بنية الرواية، وله بالكاد وظائف جمالية، وقد بدا جليا ميول لغة الروائيين إلى لغة الشعر المنمقة التي تستقطب أذن المتلقي بصفة خاصة.

الرواية المعاصرة وتقنيات التجريب:

"التجريب قرين الإبداع، لأنّه يتمثّل في ابتكار طرائق وأساليب جديدة في أنماط التعبير الفني المختلفة. فهو جوهر الإبداع وحقيقته عندما يتجاوز المألوف ويغامر في قلب المستقبل" (فضل، 2005، صفحة 3) وهذا التجاوز في حد ذاته يعتبر مسلكا حداثيا يلجأ إليه الروائي المعاصر من باب التجديد والتخلّي عن القالب التقليدي للرواية، ويمكن تصنيف التجريب الروائي في ثلاث دوائر كما يراها الدكتور صلاح فضل، وهي كالآتي:

أولا: ابتكار عوالم متخيلة جديدة لا تعرفها الحياة العادية، ولم تتداول من قبل في السرد التقليدي السابق، مع العمل على تبيان جمالياتها الخاصة.

ثانيا: توظيف تقنيات فنية جديدة لم يسبق استخدامها في جنس الرواية، ما يتعلق منها بالعالم المتخيل وتحديد ركائزه، مثل تقنية تيار الوعي أو تعدد الأصوات أو المونتاج السينمائي وغيرها.

ثالثا:اكتشاف مستويات لغوية في التعبير والتي تتجاوز المألوف من خلال توظيف لغات مختلفة كلغة التراث السردي والشعري واللهجات الدارجة وغيرها. (فضل، 2005، صفحة 5).

أما التجريب في الرواية الجزائرية فقد عرف النور مع أبرز الروائيين الذين تفننوا في نقل الواقع والتعبير عنه أيّما تعبير، ونستحضر هنا رائد الرواية الجزائرية وأول من خطّ قلمه للتجريب من خلال توظيفه لجملة من التناصات التي تعتبر في حد ذاتها تجريبا، والغني عن كل تعريف "عبد الحميد بن هدوقة"، أين تشير كل الدراسات إلى أولويته في الكتابة الروائية في الجزائر وتناوله للواقع الجزائري بتمفصلاته، كما نشيد أيضا بالكاتب الجزائري الطاهر وطّار الذي كان هو الآخر كاتبا مبدعا زامن بن هدوقة فترة اسبعينات في حقل الكتابة في جنس الرواية. "فقد كانت بدايات الرواية في الجزائر يد عبد الحميد بن هدوقة والطاهر وطّار اللذان أسهما بشكل كبير في الدفع بفن الرواية في

الجزائر إلى المقدمة، ففي رواية "الجازية والدراويش" لبن هدوقة فقد أتت محملة بزخم هائل من المنابع وأشكال التعبير المستحدثة وهذا بتوجهه نحو الأسطورة وكذلك التراث وهذا من أجل طرح مواضيع سياسية وأخرى اجتماعية، فاختلف طرحه هذه المرة وحاول إدخال بعض العناصر الجمالية من أجل إثراء نصه الروائي وبلوغه بعض الأهداف التي وضعت صوب عينيه وذهنه، نذكر أيضا الطاهر وطّار الذي كانت له رحلة روائية مغامراتية إلى جانب عبد الحميد بن هدوقة، أين تعرف معهما القارئ الجزائري على مفاهيم متعددة للرواية الجزائرية وما تحويه من مضامين وسمات جمالية وأخرى فنية، وأبرز ما ميز كتابة كل منهما الميول الكبير للطابع العجائبي الغرائبي بالإضافة إلى الفنتازيا الصوفية والتراث الشعبي، خاصة الذي يعبر تمام التعبير عن ماهية الانتماء العربي القح، كما تميز أسلوبهما باستخدام الرمز وأسطرة الواقع وتوظيف عنصر التاريخ المميز جدا عن بقية العناصر، ومن أهم مصادر التجريب التي يوظفها الروائي في نصوصه الروائية، وفي سياق آخر نجد مجموعة من الروائيين المعاصرين الذين فضلوا تأليف رواياتهم بالاستعانة بالفنون على غرار الشعر الذي يعدّ مغامرة أدبية أثرت النصوص الروائية وجعلتها ملتقى لتجاور فن الشعر والنثر، وهذه إحدى تقنيات التجريب المبتكرة ومن بين أولائك الكتّاب الجزائريين نذكر أحلام مستغانمي في ثلاثيتها الشهيرة "ذاكرة الجسد، فوضى الحواس، عابر سرير" بالإضافة إلى رواية الأسود يليق بك والتي ضجت بالأبيات الشعرية، واسيني الأعرج هو الآخر كانت لرواياته نصيب وفير لحضور النص الشعري، وهذا ما رأيناه في روايته "سيدة المقام"، وعز الدين جلاوجي أيضا كان له حضور بنصوصه الروائية المشبعة بالشعر، وغيرهم من الروائيين الذين وجدوا ضالتهم في استلهام عنصر الشعر وضمها إلى عالم الرواية، وفي هذه الورقة البحثية سنحاول استخلاص مظاهر التجريب على مستوى البنية الفنية لمجموعة من النماذج الروائية التي وظفت فن الشعر، كما سنحاول استخلاص جماليات هذا التوظيف والحضور المكثف للنص الشعري في الرواية وهذا من خلال دراسة لبعض من أعمال أحلام مستغانمي وعزالدين جلاوجي اللذان يمثلان أحد أبرز الأقلام الجزائرية المبدعة في مجال الرواية.

2.حضور النص الشعري في روايتي "الرماد الذي غسل الماء" و"سرادق الحلم والفجيعة" لعز الدين جلاوجي:

أولا: رواية الرماد الذي غسل الماء

"الرواية شكل أدبي متعدد الأساليب أو هي كما يقول أحد الباحثين جنس تعبيري غير منته في تكوينه، مفتوح على بقية الأجناس الأدبية الأخرى ومستمد منها بعض عناصرها" (عامر، 2006، صفحة 226) وفي هذا السياق نستحضر رواية جزائرية انفتحت على فن الشعر ووظفته في بنيتها السردية ما حقق شعرية وجمالية على المستوى الأسلوبي للنص الروائي، رواية عز الدين جلاوجي "الرماد الذي غسل الماء" هذه الرواية الحافلة بجملة من الأبيات الشعرية التي جاءت مصاحبة للرواية بأحداثها وشخصياتها، أين ساهمت في اصطباغ الرواية بحلّة شعرية زادت من جمالية عناصرها الفنية وخرجت عن المألوف السردي، ويمكننا القول أنّ الكاتب تناص مع النص الشعري في محطات عدّة منها القديم والحديث، ونجد في رواية الرماد الذي غسل الماء نماذج عديدة لأقوال بعض الشعراء، يقول الكاتب على لسان بدرة وهي إحدى شخصيات الرواية: وهو بيت شعري لأبي العلاء المعري:

تعب كلّها الحياة فما أعجب إلاّ من راغب في ازدياد (جلاوجي، صفحة 121)

في هذا البيت تعبير من إحدى شخصيات الرواية وهي بدرة على حالة من اليأس والحزن كونها لم تتزوج بعد فنجد المدعوة نوارة تواسيها بقولها: لا تصدقي أبا العلاء المعري، فليس أصدق من إيليا أبو ماضي:

إنّ شر النفوس نفس يؤوس يتمنى قبل الرحيل الرحيلا (جلاوجي، صفحة 121)

أما في هذا البيت فنجد نفحة من التفاؤل والتشبث بخيط الأمل دون قطعه، في إشارة من الكاتب على ضرورة فسح المجال للأمل والتفاؤل بالحياة وما تحمله من مفاجآت، فبراعة الكاتب جلاوجي تكمن في ذلك المزج بين بيتين شعريين مختلفين عن بعضهما البعض من حيث الموضوع أو من حيث نزعة كل شاعر وتاريخه وبيئته الخاصة وظروفه الاجتماعية والنفسية، فهنا الكاتب يستحضر شخصيتان من أهم الشعراء المعروفين في زمانهم بأشعارهم الذواقة ذات الحس العالي، وهنا نجد شيئا من التاريخ وشيئا من الأدب فكلاهما شخصيتان عايشتا فترة معينة من الزمن ومرت بتجارب

عديدة، حاول الكاتب التوفيق بينهما وفي السياق ذاته نجد الشخصية نفسها ذات النزعة التشاؤمية "بدرة" بقول الشاعر طوقان:

يا من يريد الانتحار وجدتها إنّ المعلّم لا يعيش طويلا (جلاوجي، صفحة 138)

كما نجد في سياق آخر قول المتنبي على لسان فاتح اليحياوي الذي كان يردد في خلوته هذه الأبيات:

وما قتل الأحرار كالعفو عنهم ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا

لا تشتر العبد إلاّ والعصا معه إنّ العبيد لأنجاس مناكيد

ما كنت أحسبني أحيا إلى زمن يسيء لي كلب وهو محمود (جلاوجي، صفحة 177)

وهنا نموذج للشخصية التي لا تملك لا نفوذ ولا أي سلطة، فلو أنّ اليحياوي رشّح نفسه لولاية عين الرماد إلاّ أنّ الواقع المر والأليم هو علمه بأنّه لن يربح الرهان لأنّ هنالك قوى وسلطات عليا أكبر بكثير منه ومن أمثاله فالأكيد أنّ المدعو مختار الدّابة هو من سيربح الانتخابات وبالفعل كان له ذلك بعم من جهات عليا ذات نفوذ، وهذا ما أراد الكاتب إيصاله للعامة وكيف أنّ السلطة والقوة في الحكم تفعل العجب. وفي سياق آخر يقول الكاتب على لسان مختار الدابة الذي لم يتمكن من حفظ أي شيء في ذاكرته الضعيفة سوى قول بديع الزمان الهمداني:

اعمل لرزقك كل آلة لا تقعدّن بذل حاله

وانهض بكل عزيمة فالمرء يعجز لا محاله (جلاوجي، صفحة 195)

مختار الدابة هو حاكم مدينة الرماد رغم أنّه لم يكمل مساره الدراسي ولا زاد علمي أو معرفي له، إلاّ أنّه تمكّن بطريقة من الطرق من تقّلد هذا المنصب وهذا بفعل أيادي خارجية مؤيدة وداعمة له، ووجد في الرواية أيضا أبيات شعرية أخرى لشعراء لم تذكر أسماؤهم ونجد أيضا أبيات لأحمد شوقي، بالإضافة إلى لون أدبي أخر تناص به الكاتب وهو"الخاطرة" التي جاء ذكرها على لسان فاتح اليحياوي الذي اختلى في أعالي الجبال وظل يردد بعضا من الخواطر المذكورة في كتب الأدب، وكانت عبارة عن أربعة خواطر وهو شكل آخر من أشكال انفتاح الرواية العربية والجزائرية المعاصرة على الفنون المختلفة منها الأدبية وغير الأدبية كالرسم والنحت وغيرها من ألوان الفنون

التي تشبعت بها، لقد مزج جلاوجي بين الشعر القديم والشعر الحديث في روايته، كما نلاحظ بأنّه أكثر من توظيف الأبيات الشعرية في الرواية، إذ تعتبر ظاهرة تجريبية معاصرة تساعد الكاتب على تطعيم نصه الروائي بنكهة شعرية خالصة، كما تخلّص القارئ من نمطية السرد الكلاسيكي الذي ميز الرواية العربية منذ نضجها، قبل أن تصلنا في قالبها الحالي المعاصر الذي يقبل دخول جل الأجناس الأدبية بما في ذلك الشعر، هذا الأخير الذي شهد حضوره في الخطاب الروائي توهجا منقطع النظير كونه الجنس الأدبي الأكثر شيوعا وتداولا بعد الرواية، هذا قبل أن يتنحى جانبا فاسحا المجال لجنس الرواية لتفرض سيطرتها في الآونة الأخيرة، لكن سرعان ما تلاقح كل من جنس الرواية والشعر معلنين عن ولادة شكل تعبيري معاصر لا يملك حدودا معينة، إذ يكون فيه المبدع متجردا من أي قوانين أو شروط يستوجب الوقوف عندها، وهذا ما يدخل ضمن حيز التجريب وتجاوز المألوف.

ثانيا: رواية سرادق الحلم والفجيعة

تعدّ هذه الرواية الجزائرية المعاصرة إحدى الروايات التجريبية التي اشتملت على جملة من التناصات أبرزها تناص الرواية مع الشعر واستلهامها للغة الشعر، فضلا عن كونها رواية عجائبية مشبعة بفضاءات تخييلية وأحداث عجائبية، تفنن جلاوجي في سردها، لكن هذا لم يمنعه من الاتكاء عل بعض النصوص الشعرية التي أضحت تشكّل جزءا مهما من معمارية الرواية وبنائها الفني، وقد حاول الكاتب عزالدين جلاوجي في روايته التعبير عن الأوضاع السائدة في بلاده من خلال رصده لمظاهر البؤس والمعاناة التي يمر بها أبناء شعبه، أين انطلق من مبدأ تناقضي بدا جليا من العنوان الذي يقوم على ثنائية متضادة، ونجد جلاوجي في مستهل روايته يكتب أبياتا شعرية صور لنا من خلالها مدينته التي يقطن بها وما آلت إليه من وضع مزري وفساد على جميع الأصعدة، ولعلّ لغة الشعر هي اللغة الأكثر قربا من مشاعر الفرد وبواسطتها يوصل أحاسيسه للقارئ ويساعده هذا المزج بين الشعري والسردي في إيصال ما يعجز كل منهما لوحده عن تبليغ ما يود الكاتب قوله، فنجد الكاتب يقول:

"وأنا..وحدي والمدينة..

مدينتي بقايا الأنس بجوف العبير..

مدينتي منفى كبير..

وأنا الغريب أيها الغرباء..السعداء..التعساء..

المتشردون..الممزقون.. البلهاء..

يا غرباء الأرض اتحدوا.. (جلاوجي، سرادق الحلم والفجيعة، 2006، صفحة 11)

وتعدّ الغاية من اعتماد الكاتب على أبيات شعرية للتعبير بصورة أدق عما يعيشه من بؤس وخراب، وتعدد حضور النص الشعري الذي ورد في هذه الرواية كتعبير عن الذات والمشاعر الجياشة المكبلة بحبل الألم والشقاء، فظل جلاوجي يبحث عن بر الأمان للتخلص من تلك الكوابيس التي يعيشها، آملا في غد أفضل وواقع أجمل لن، فها هو يستنجد بحمامة هي رمز للسلام والأمن والأمان فيقول:

"ويا حمامة بيضاء لا تحسن إلّا أن تحلّق في الفضاء...

إليك أهرع كطفل صغير أفزعته الذئاب..

ضميني إلى حضنك هدهديني بجفون عينيك.." (جلاوجي، سرادق الحلم والفجيعة، 2006، صفحة 87)

ومن هذا المقطع الشعري تبرز لنا أهمية توظيف نسق الأبيات الشعرية في متون الرواية، كونها تعبر بصدق عن مشاعر المتحدث ومتقمص الدور، فقد برزت نزعة الكاتب في هذه الأسطر فالمعاناة والأسى باديتان على حالته النفسية والاجتماعية، وتدخل لغة رواية جلاوجي ضمن حقل الشعري ة، فالملاحظ أنّ الكاتب اعتمد لغة شعرية ممتزجة بالسردية ليشكّل لنا لوحة فنية يقول الكاتب:

"الغربة ملح أجاج

وحدي أنا والمدينة

ثكلت الهوى..ثكلت السكينة

ولا ورد ينمو ها هنا..لا قمر..لا حبيبة

لا دفء في القلب الحزين

لا ولا شوق..ولا غيث..ولا حلم أمين..

لا يبلسم من حبة القلب الأنين

وحدي أنا والظلام

إنّ هذا المزج بين مزايا الشعر والنثر يجعل من النص الروائي ملتقى لأساليب تعبيرية طافحة بالدلالات ذات الأبعاد الجمالية، كما تخرج النص من نفق الإسهاب في السرد إلى اكتسابه سمة الشعرية، خاصة وأنّ الكاتب يسعى لتدعيم خطابه بأنماط تعبيرية جديدة تخلّصه من جموده السردي المعتاد. وهكذا استمر جلاوجي في التلاعب بالألفاظ والعبارات مزاوجا بين ما هو نثري وما هو شعري من باب التجديد، وهذا ما يمكن أن نطلق عليه تراسل الفنون وتمازجها، أي أنّه عصر الرواية التجريبية التي تتشكل من جملة من الأجناس الأدبية لتشكّل لنا جنسا أدبيا هجينا ألا وهو الرواية المعاصرة.

3.تجربة أحلام مستغانمي الروائية (مزج الشعري بالنثري)

تعدّ الكاتبة الجزائرية أحلام مستغانمي إحدى المبدعات اللواتي اشتهرن على الساحة الأدبية في الجزائر، كونها ذلك الصوت الصادح في سماء الأدب الجزائري بشقيه الشعري والنثري، خاصة وأنّها عرفت بأسلوبها المتفرد ذو الطابع الجمالي المنمق، كما أنّها اشتهرت بكتابة الروايات بلغة شعرية فياضة تخترق كل أبجديات التأليف الروائي، فقد استطاعت أن تزاوج بين الشعر والنثر في نص واحد وبطريقة فيها من التميز والإبداع ما فيها، فها هي ثلاثيتها الشهيرة (ذاكرة الجسد، عابر سرير، فوضى الحواس) تتجاوز طابع الرواية التقليدي الذي يتحرى النمطية السردية، فأحلام تخلت عن الأسلوب السردي المحض وانتقلت بنا من السرد إلى عالم الشعر وتضمينه في جل أعمالها الروائية، وهذا ما رأيناه من خلال استحضار العديد من الأبيات الشعرية لأبرز الشعراء العرب وأجود القصائد والأبيات التي نظموها، سواء القدامى منهم كأبي فراس الحمداني أو معاصرين أمثال مفدي زكريا، محمود درويش، أحمد شوقي وغيرهم، وقد عرفت مستغانمي بتلاعبها الرهيب بالألفاظ والتراكيب واستعمالها اللغة الشعرية التي ميزت جل أعمالها، "واللغة الشعرية قائمة على منطق الانحراف أو الانزياح، وهي تشكّل بذلك إشعاعا دلاليا مكثفا، والكلمة فيها توحي أكثر

ممّا تقول" (تاوريت، 2010، صفحة 579) ولعل ذاكرة الجسد خير دليل على ذلك، فقد وردت الرواية بلغة شعرية أكثر منها نثرية، بالإضافة إلى تناصها واستحضارها لبعض الأبيات الشعرية بعضها من تأليفها كونها شاعرة أيضا، وبعضها من تأليف شعراء مختلفين على غرار قصيدة ابن باديس الشهيرة "شعب الجزائر مسلم" ومطلع قصيدة السياب الشهيرة مطر:

عيناك غابتا نخيل ساعة السحر

أو شرفتان راح ينأى عنهما القمر (مستغانمي، 1993، صفحة 181)

وفي رواية أخرى لأحلام مستغانمي نجد ذلك الزخم الهائل من التوظيف للنص الشعري، وميولها لاستعمال لغة شعرية رنانة، تبتعد بها شيئا فشيئا عن اللغة السردية، فرواية الأسود يليق بك جاءت مثقلة بالأبيات الشعرية التي كانت في أغلبها من تأليف الكاتبة نفسها، أين عمدت إلى مزج النثري بالشعري نظرا لطبيعة الموضوع المطروح، والذي يرتبط بالمشاعر والأحاسيس بالدرجة الأولى تقول الكاتبة:

"ارقص كما لو أنّ لا أحد يراك

غن كما لو أنّ لا أحد سبق أن جرحك

كم من الأشياء تفعل هذا المساء لأول مرة

أيتها الطيور، أيتها الجبال، أيتها الينابيع، أيتها الشلالات، يا كل الكائنات، إني أسمع ناياتك تناديني

أيتها الحياة دعي كمنجاتك تطيل عزفها...وهاتي يدك" (مستغانمي، الأسود يليق بك، 2012)

وفي سياق آخر استحضرت الكاتبة مستغانمي في روايتها بيتا شعريا للجواهري (مستغانمي، الأسود يليق بك، 2012، صفحة 278)

ينقضي عجلان فيفلت صيده ويصيبه ولو أحسن الإبطاء

لقد اشتغلت مستغانمي على اللّغة الشعرية في روايتها بشكل كبير وهذا بهدف استقطاب أذن القارئ، ففي أغلب رواياتها نجد ذلك النزوع نحو استخدام اللغة الشعرية المثقلة بالألفاظ والمفردات ذات الحضور الجمالي والدلالي، أين تعطي أحلام نصوصها شعرية مضاعفة بدءا بشعرية الأفعال والأسماء والأزمة والأمكنة، فضلا على استحضارها لنصوص شعرية من مختلف العصور سواء الشعر القديم أو المعاصر، وكذا ميولها الكبير لتوظيف هذا الفن الأدبي يرجع لكونها شاعرة بالدرجة

الأولى، وهي تؤلف في أسطر رواياتها تدرك جيدا متى وكيف توظف هذا الإرث الذي أصبح طاغيا بشكل كبير على أغلب الروايات المعاصرة، ونجد مثلا في روايتها نسيان كوم تكثر من استعمال أبيات شعرية من الشعر الحر وتحيل في متن الرواية بالمصدر الذي يرجع إليها، فهي كاتبة وشاعرة تجيد التلاعب جيدا بكلا الجنسين، وقد أبانت عن مهارة فذة في المزج بين عناصر السرد والشعر، وفي رواية الأسود يليق بك نجدها تبدع في استخدامها لأبيات من الشعر الحر وتوظفها وفق ما يتناسب مع أحداث روايتها، فبطلة الرواية كانت مغنية، فما كان من أحلام إلّا ، توظف هذه الأبيات على شكل أغنية تؤديها المغنية على ركح المسرح فتقول:

"ليس هذا الزمن لك
لم يحدث أن كنت أكثر حياة
كما يوم حللت ضيفا على مدن الموت
خطاك كانت تعانق الأرصفة
وعيناك شفة
تقبل وجنات الصغار
شهيا كنت ومنتظرا كنبتي
لذا ما لزمت الحذر
وأنت تجتاز القدر
إلى الضفة الأخرى
كنت تود يومها لو أنّ يدك كانت في يد من تحب
لو أنّ قبلة أخيرة أودت بك
فمت في حادث حب
لكنّك سقطت
والعصافير تنقر قمح الحب في كفّك
أ تكون ذهبت لتسقي بدمك
شجرة الإنسانية" (مستغانمي، الأسود يليق بك، 2012، صفحة 330/329)

في هذا المقطع الشعري الذي ورد في نص الرواية على شكل أغنية، أرادت الكاتبة أن تمزج بين ما هو سردي وشعري كما عودتنا في أعمالها الروائية، وتبدع بذلك نصوصا روائية تمتزج فيها الأجناس

الأدبية لتخلق جوا من التنويع، بالإضافة إلى حديثها في متون الرواية على شخصيات أدبية على غرار الشاعر الفذ المتنبي وجبران خليل جبران، ومن خلال رواية الأسود يليق بك لأحلام مستغانمي فإننا نستنتج أنّها رواية ذات نزعة شعرية على مستوى اللغة وكذا الأسلوب، وقد أضفى النزوع الشعري على الرواية أبعادا فنية وجمالية ساهمت بشكل كبير في إنتاج نص مدجج بالأساليب التعبيرية المعاصرة وتخلصت الكاتبة من نمطية السرد المعهودة.

خاتمة:

لقد أصبحت صياغة نصوص روائية معاصرة هاجس الروائي العربي بعامة والجزائري بخاصة، خاصة وأنّ فن الرواية عرف تطورا كبيرا على مستوى البنية الداخلية، وابتكر أساليب تعبيرية جديدة من خلال المزج بين مختلف الفنون والأجناس الأدبية خاصة الشعر الذي يعتبر المادة الأساس التي أصبح يعتمد عليها الروائي المعاصر، فالرواية أصبحت منفتحة على مختلف الفنون تنهل منها ما تنهل بغية تجاوز المألوف واستخلاص نصوص روائية معاصرة بعيدة عن القالب الكلاسيكي المعهود، وهذا ما رأيناه في روايات كل من عز الدين جلاوجي وأحلام مستغانمي اللذان وظفا النص الشعري في نصوصهما الروائية، وكذا الميول إلى توظيف اللغة الشعرية من باب التجريب والتخلّص من نمطية النص الروائي التقليدي، كما أنّ النص الروائي بتفاعله وتداخله مع أبيات شعرية اكتسى بحلّة معاصرة زادت من رصيده الثقافي والجمالي، وبالتالي فالاتكاء على الفنون باختلاف أنواعها يعدّ شكلا من أشكال التجديد والمواكبة لكل حركة أدبية معاصرة، خاصة ونحن هنا في حضرة جنس الرواية، بالإضافة إلى الأهمية الكبيرة التي يحتلها الشعر فبحضوره في المتن الروائي هي إضافة جليلة للخطاب الأكثر شيوعا في وقتنا الحال، وهذا ما يبرر أهمية الشعر في تقويم النصوص الروائية وإثرائها من الناحية الفنية والجمالية والدلالية، وتوجد العديد من النصوص الرواية الجزائرية التي احتفت بالنص الشعري وتناصت معه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة والتي تحتاج هي الأخرى إلى دراسات من أجل استنباط مدلولات هذه الروايات المعاصرة ذات الحلّة الشعرية، وإجمالا يمكننا الخلاص إلى النتائج الآتية:

– يعدّ فن الشعر ترياقا جماليا يدعم الحضور الفني للرواية ويحلّق بها في سماء الإبداع، كونه من الفنون التي تزيد من جمالية الخطا الروائي الذي تغلب عليه النزعة السردية.

– ينزع الروائي المعاصر بشكل ملفت لمزج عمله الإبداعي بلمسة فنية من خلال استحضار النصوص الشعرية التي تثري نصه سواء من الناحية الموضوعاتية أو الجمالية.

– إنّ تجربة عز الدين جلاوجي الروائية تعتبر من بين التجارب الروائية الناجحة في أدبنا الجزائري، كونه روائي محترف يجيد التعامل مع عناصره المقتبسة والمتناصة من مختلف الحقول المعرفية والثقافية، وتوظيفه المهاري للأبيات الشعرية في رواياته دليل على ذلك.

– حضور النص الشعري في روايات أحلام مستغانمي ترجمة لتلك الميولات الشعرية التي تميز الكاتبة، كونها تنظم في حقل الشعر أيضا، فقد برزت هذه الظاهرة بشكل جلي وواضح من خلال أسلوب كتابتها واعتمادها على اللغة الشعرية.

– تعدّ تجربة كل من أحلام مستغانمي وعزالدين جلاوجي تجربة رائدة في الرواية الجزائرية، ثمن المبدعان من خلال أعمالهما تمازج الفنون مع جنس الرواية، ونذكر هنا فن الشعر بشكل خاص وما أضافه لبنية الرواية.

قائمة المراجع:

أولا: المصادر

1. أحلام مستغانمي: ذاكرة الجسد، موفم للنشر، 1993.
2. أحلام مستغانمي: الأسود يليق بك، نوفل للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2012.
3. عز الدين جلاوجي: الرماد الذي غسل الماء، دار المنتهى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.
4. عز الدين جلاوجي: سرادق الحلم والفجيعة، منشورات أهل القلم، ط1، سطيف، 2006.

ثانيا: المراجع (الكتب)

1. أحمد الزعبي: التناص نظريا وتطبيقيا، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، ط2، عمان، الأردن، 2000.
2. بشير تاوريت: الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة والنظريات الشعرية، دراسة في الأصول والمفاهيم، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن، 2010.
3. صلاح فضل: لذة التجريب الروائي، أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، ط1، القاهرة، 2005.
4. محمد شاهين: آفاق الرواية –البنية والمؤثرات– منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001.
5. مخلوف عامر: الرواية والتحولات في الجزائر–دراسة نقدية في مضمون الرواية المكتوبة بالعربية–، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2006.